



من أعمال باكثير المجهولة..

دمعة حضر موت..

قصيدة عن

سنة ١٩٣٢ غادر الشاعر الشاب علي أحمد باكثير وط
إلى عدن «المحمية البريطانية آنذاك» مولياً وجهه ش
أولاً بموت حافظ، ثم موت شوقي، وهو لا يزال بعد في
نظم هذه القصيدة - التي تنشر لأول مرة - في يوم وقا

مَاعَرَا الْقَلْبَ الَّذِي تَهْفُو بِهِ
كُلُّ ذَكَرَى قَعْدَا مِثْلُ الْحَجَرِ
عَجَباً مَا ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِهِ
وَسِعَتْهُ حُفْرَةٌ بَيْنَ حُفَرِ

■■■■

سَائِلُوا الدُّنْيَا وَصِيحُوا فِي الْبَشَرِ
مَا دَهَى الشَّمْسَ وَمَا غَالِ الْقَمَرِ
فَإِذَا لَمْ تَسْمَعُوا غَيْرَ الصَّدَى
فَاعْلَمُوا أَنَّ قَدْ طَوَى «شَوْقِي» قَدْرُ
فَاسْكُبُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ أَدْمَعِ
وَأَسِيلُوا مَا أَرَدْتُمْ مِنْ عِبَرِ
وَلْتَذُبْ أَنْفُسُكُمْ ثُمَّ لَتَسْلُ
حَسَرَاتٍ قَطَرًا بَعْدَ قَطَرِ

■■■

هَذِهِ الْعُرْبُ حَيَارَى كُلِّهَا
كَبِدٌ تَغْلِي وَدَمْعٌ يَتَهَمِرُ
يَتَوَلَّاهَا التَّبَاعُ دُونَهُ
لَوْعَةُ التُّكْلِى وَبَأْسُ الْمُحْتَضَرِ
نَبَأٌ مَرَّ بِهَا فَاضْطَرَبَتْ
وَبِيرَكَانَ أَسَاها فَانْقَجَرَ
كَبَرَتْ «مَاتَ أَمِيرُ الشَّعْرِ» مَنْ
يَعْنَاهَا يُغْشَى عَلَيْهِ وَيُدَّرِ
شَاعِرُ الْعُرْبِ وَحَامِي رُكْنِهَا
وَرَدَّ الْمَوْتَ إِلَى غَيْرِ صَدَرِ
فَقَدْتُ قَائِدَهَا الْأَكْبَرَ فِي
سَاعَةِ الشَّدَّةِ وَالْأَمْرِ خَطَرِ
وَرَحَى الْحَرْبِ بِهَا دَائِرَةً
تُبْصِرُ الْأَنْجَمَ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ
يَا لَهَوْلِ الصَّدَمَةِ الْكَبْرِى فَقَدْ
عَظُمَ الْخَطْبُ وَعَزَّ الْمُصْطَبَرُ

■■■

فُجِعَتْ «مِصْرُ» بِمُعلَى شَأْنِهَا
وَمُحَلَّى جِيدِهَا أَعْلَى الدُّرِّ
بِمَعْرِزِيهَا «بِنْتَ عَادِهَا»
مَنْ يُعْرِزِيهَا «بِشَوْقِيهَا» الْأَعْرُ
جَرَعَتْ لِمَا رَأَتْ أَحْمَدَهَا
بَارِدَ الْأَطْرَافِ مَشْخُوصَ الْبَصَرِ
سَاكِنَ الْأَعْضَاءِ مِنْ غَيْرِ كَرَى
جَامِدَ الْمُقُولِ مِنْ غَيْرِ حَصَرِ



وَيْدُ «النَّيْلِ» عَلَى أَحْشَاءِهِ
سَاخِطاً يَرْنُو إِلَى الْكَوْنِ الشَّزْرُ
وَبَكَتْ «طَيْبَةُ» وَ«الْبَيْتُ» مَعَا
كَمْ تَقْنَى بَعْلَاهَا وَافْتَحَرُ
وَرُبُوعُ «الشَّامِ» تَبْكِي شَاعِراً
نَدَبَ الْأَمْلاكِ فِيهَا وَالسُّرُرُ
وَبَكَى «الْبِسْفُورُ» مَنْ صَوَّرَهُ
فَوْقَ مَا أُوتِيَ مِنْ حُسْنِ الصُّورِ
خَصَّ بِالْآيَاتِ «كُبْرَى شَمْسِهِ»
وَنَعَاها إِذْ هَوَتْ فِي مُنْحَدَرِ
و«بَنْجَد» حَسَرَاتُ تَلْتَظِي
و«بَبْغَدَادَ» شَابِيبُ تَدْرُ
وَعَلَى «الْأَحْقَافِ» آيَاتُ الْأَسَى
وَبَارِضِ «الْيَمَنِ» الدَّمْعُ غُدْرُ

■ ■ ■

مَنْ يُعَزِّي «الشَّرْقَ» فِي أَحْزَانِهِ
وَيَهْنِيهِ إِذَا مَا الشَّرْقُ سُرُ
عُطِّلَتْ قَيْثَارَةُ الشَّرْقِ الَّتِي
أَشْجَتِ الدُّنْيَا مَلِيًّا وَالْبَشَرَ
وَاسْتَحَالَتْ قِطْعاً مِنْ خَشَبِ
فَكَانَ لَمْ تَشْجِ قَلْباً أَوْ تُثْرِ
شَمْسُ شِعْرِ الْعُرْبِ غَابَتْ زَمْنَا
و«بَشُوقِي» قَرَبَهَا فِي الْكَوْنِ دَرُ
شَاعِرُ الْكَوْنِ يُطَاطِي رَأْسَهُ
عِنْدَهُ «دَانْتِي» وَ«فَكْتُورُ» يَخْرُ
حَلَّ «شَاكْسْبِيرُ» فِي هَيْكَلِهِ
و«أَبُو الطَّيِّبِ» وَ«الْمَلِكُ الْأَغْرُ»
أَشْرَبَتْ مُهَجَّتُهُ أَرْوَاحَهُمْ
فَالْتَقَتْ فِيهَا بَدِيعَاتُ الصُّورِ
وَاسْتَسَرَّتْ عَبَقْرِيَاتُ النُّهَى
فِي مَطَاوِيهَا وَأَعْلَاقِ الْفِكْرِ
وَجَرَى «الْقُرْآنُ» فِي أَعْمَاقِهَا
مُعْجَزُ الْآيَاتِ وَضَاءُ السُّورِ

على أمير الشعراء

وها ٦٨ عاماً

لننه الأصلي حزيناً كاسف البال بعد وفاة زوجه الشابة
عطر مصر حالماً بأن يلقي شوقي وحافظ، فإذا به يفجع
سـدن فيرثيهما بدموع سخينة ترجمها شعره، وقد
شوقي.

تَلَكُمُ «الضَّادُ» وَذِي أَوْطَانِهَا
فَقَدَتْ فِي سُدُقَةِ اللَّيْلِ الْقَمَرُ
فَرُبِّي «مِصْرُ» اسْتَحَالَتْ مَاتَمًا
جُمِعَ الْأَسَادُ فِيهِ وَالْعُفْرُ
جَلَّتْ «أَهْرَامُهَا» كَاسِفَةً
مَسْحَةُ الْحَزْنِ وَسِيمَاءُ الْكَدْرِ

فَصَفَّتْ ثُمَّ هَفَّتْ فَاضْطَرَمَّتْ
فَرَمَتْهَا مَاضِيَاتُ كَالْقَدَرِ
ضَاحِكَاتُ كَازَاهِرِ الرَّبِّي
وَشُذِّيَّاتُ كَأَنْفَاسِ السَّحَرِ
خَالِدَاتُ يُعْجِبُ الدَّهْرُ لَهَا
إِذْ تَحْدَاهُ وَنَهْزَا بِالْعُصْرِ
أَصْبَحَتْ مِنْ سُنَنِ الْكَوْنِ فَلَا
تَنْمُحِي أَوْ يَنْمُحِي مِنْهَا الْأَثَرُ

■ ■ ■

لَمْ يَقُمْ مِنْ أَلْفِ عَامٍ قَدْ مَضَى
مِثْلُ «شَوْقِي» فِي بَنِي الْعُرْبِ شَعْرُ
هَلْ رَأَيْتُمْ قَبْلَ «شَوْقِي» مِنْ يَدٍ
وَصَلَتْ عَصراً بِعَصْرِ قَدْ غَبَرَ
جَذَبَتْ حَلْقَةً مَاضِينَا إِلَى
حَلْقَةِ الْحَاضِرِ بَعْدَ الْمُنْبَتِرِ
صَافَحَتْ - مِنْ كَوَّةِ الْغَيْبِ - يَدَ (م)
«الْمُنْتَبِي» فِي غَيَابَاتِ الْعُصْرِ
فَكَانَ لَمْ يَكْ بَيْنَ الْأَحْمَدَيْنِ (م)
فُورُونَ وَصُرُوفُ وَغَيْرُ
كَيْفَ شَمْسُ نَارَتِ الْكَوْنِ هَوَتْ
كَيْفَ شَخْصٌ مَلَأَ الدُّنْيَا قُبُورَ

■ ■ ■

يَا بَنَاتِ النَّيْلِ أَسْعِدْنَ أَخَا
غُرْبَةٍ لَوْحَهُ طُولُ السَّفَرِ
شَرِيقَا بِالذَّمْعِ أَهْدِينَ لَهُ
مِنْ نَمِيرِ النَّيْلِ كَفَا يُعْتَصِرُ
«حَضْرَمَوْتُ» دَائِرَةَ حَيْثُ التَّقَتِ
بِاسْقَاتِ النَّخْلِ فِيهَا وَالسِّدْرِ
حَيْثُ أَنْفَاسُ الصَّيْبِ بَارِدَةٌ
وَالْهَوَاءُ الطَّلِقُ وَالْمَاءُ الْخَاضِرُ
خَطِيفَ الدَّهْرِ بِهَا مِنْ يَدِهِ
زَهْرَةٌ مِنْكَ فِي الْعَمْرِ النَّضِيرِ
مَا ثَلُتُكَ جَمَالاً وَحُلًى
وَتَسَامَتْ بِحَيَاءٍ وَخَفَرُ

فَانْبِرَى يَنْشُدُ فِي «مِصْرَ» الْعَزَا
فَإِذَا مِصْرُ عَلَيْهِ تَسْتَعِيرُ
سَلَبَتْ «خَافِظَهَا» فِي غِرَّةٍ
ثُمَّ «شَوْقِيَهَا» بَلَمَحَ مِنْ بَصَرِ
كَمْ تَمَنَّيْتُ بِأَنْ الْقَاهِمَا
فَإَرَى الْوَالِدَ وَالْعَمَّ الْأَبَرَ
تَبَّتِ الْأَيَّامُ هَلْ أَلَيْنَ أَنْ
لَيْسَ يَقْضِي «لِعَلِي» مِنْ وَطَرِ
غَفَرَكَ اللَّهُ هَلْ شَنَأَتْ
فَلَقَّ الْعُرْبُ الْجَمِيلَ الْمُنْتَظَرَ
أَبْصَرَتْ أَنْوَارَهُ تَلَمَّعَ فِي
مُنْحَنَى الْأَفْقِ عَلَى مَرْمَى النَّظَرِ
فَسَمَتْ فَأَنْتَهَبَتْ أَسْطَعَ مَا
ضَمَّتِ الْهَالَةَ مِنْ شَتَى الزُّهْرِ
سَتَظِلُّ الْعُرْبُ تَبْكِي شَجْوَهَا
كُلَّمَا طَالَعَتِ الْأَفْقَ دُرُّ
كَيْفَ لَا يَبْكِيهِمَا شَعْبٌ هُمَا
بِمَكَانِ الشَّمْعِ مِنْهُ وَالْبَصَرُ
أَبْنَاتِ النَّيْلِ جَدَّدْنَ الْأَسَى
لَفَتَى النَّيْلَ وَشَقَّقْنَ الْخُمُرُ
هَلْ تَبَصَّرْنَ مِنْ تُحْنَتِهِ
إِنَّهُ أَبْلَغُ مَنْ خَطَّ السُّطُرَ
وَحَيَاةُ الْمَرْءِ دِينَ ثَابِتٌ
وَيَقِينٌ وَجِهَادٌ مُسْتَمِرُّ
وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَشْقَى إِذَا
شَاقَّهُ عَطْفُ النَّعِيمِ الْمُسْبِكِ
قَدْ وَعَيْنَاهَا تَطَبَّ نَفْساً بِنَا
سَتَوَافِيكَ غَدَاً عَنَّا الْبُشْرُ
عِنْدَمَا يَرْجِعُ مَاضِينَا لَنَا
قَاهِرَ السُّلْطَانِ مَرْمُوقَ الْخَطَرِ
مُحَكَّمُ التَّنْزِيلِ دُسْتُورُ لَنَا
وَحُجُولُ الْمَجْدِ فِيْنَا وَالْغُرَرُ
تَخَضَّعَ الدُّنْيَا لَنَا طَائِعَةً
تَشْتَكِي الظُّلَمَ إِلَى عَدْلٍ «عُمَرُ»

فَانْزِلِ الْفِرْدَوْسَ وَانْكُرْنَا إِذَا
مَاسَنَا «الهاذي» لَعَيُّنِيكَ زَهْر
أَهْدِهِ عَنَا تَحِيَّاتٍ كَمَا
رَقَّ إِحْسَاسُكَ فِي وَقْتِ السَّحَرِ
عَنْهُ بَعْضَ قَوَافِيكَ عَلَى
حَافَةِ «الْكُوثر» مِنْ تَبْرِ وَدُرٍ
وَادِعُ حُورِ الْخُلْدِ يَغْرِقُنْ وَلَا
تَنْسَ أَنْ الْخَمْرَ حِلَّ وَالْوَثْرَ
سَتْرِي «المختار» يَهْتَرُ لَهَا
مُسْتَنْزِيراً وَجْهَهُ مِثْلَ الْقَمَرِ
ثُمَّ بَلَغْتُهُ بَأْنًا - آله -
قَدْ بَدَأْنَا نَخْلَعُ النَّيِّرَ الْعَسِرَ
عَلَيْهِ يَدْعُو لَنَا اللَّهُ بِمَا
يُوصِلُ الْغَايَةَ أَوْ يُذْنِي الْوَطْرَ
قُلْ لَهُ يَا أَيُّهَا الْهَادِي أَقْلُ
عَثْرَةَ الْإِسْلَامِ يَنْهَضُ وَيُثْرُ
إِنَّهُ «شوقي» أَمِيرُ الشُّعْرَا
عَبْقَرِي الدَّهْرِ مَرَاةَ الْعَصْرِ
أُغْرِي الدَّهْرَ بِمَصْرِ وَيَحْهَا
كُلَّ يَوْمٍ كَوَكْبٍ فِيهَا يَخْرُ
كَانَ يُرْضِي النَّيْلَ مِنْكَ الْفِدَا
أَثَرَيْنَ الدَّهْرَ لِلنَّيْلِ اقْتَفَر
لَوْ ذَهَبْتُنْ فِدَاءَ دُونِ مَنْ
رَفَعَ النَّيْلَ لَمَا كَانَ كَثُرَ

■ ■ ■

شَاعِرَ الْإِسْلَامِ لَا تَبْعُدْ وَهَلْ
كَرَحِيلَ الْمَوْتِ فِي الْبَعْدِ سَفَرُ
لُحْيِ الدَّهْرِ فَقَدْ جَرَعْنَا
مِنْ نَوَاكِ الصَّابِ مُرّاً وَالصَّبْرِ
وَلَقَدْ أَقْصَاكَ عَنْ أُرْوَاحِنَا
- وَهِيَ مَثْوَى لَكَ - لَوْ كَانَ قَدِيرُ
إِنَّهُ أَعَجَزَ مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ
شَطَّ فِي الْجَوْرِ عَلَيْنَا وَغَدَرَ

قَدْ حَقَّرْنَا لَكَ فِي أَكْبَادِنَا
خَالِدَ الْقَبْرِ إِذَا الْقَبْرُ انْدَثَرَ
فَلَوْ أَنَّ الْمَوْتَ يُرْضِيهِ الْفِدَا
لَفِدْتُنَاكَ بِمَحَبِّبِ الْعُمَرِ
أَوْ لَوَّانَ الْقَدَرَ الْجَارِي لَهُ
دَافِعُ قُومِنَا وَغَالِبُنَا الْقَدَرَ

■ ■ ■

مِنْ وَصَافِيكَ إِلَيْنَا «إنما
الأمم الأخلاق» و«الدُّنْيَا سِير»
وَعَلَى الْحَمْرَاءِ بَابُ دَقُّهُ
بِيَدِ سَالَتٍ بِمَسْفُوحِ هَدَرٍ
وَأَسَاسُ الْمُلْكِ بُنْيَانٌ وَغَرُ
سٌ وَتَجَدِيدٌ وَعَقْلٌ يَدْبُرُ
فَعَزَاءُ آلِ شَوْقِي إِنَّمَا
هَكَذَا الدُّنْيَا سُرُورٌ وَكَدَرُ
وَعَزَاءُ يَاسَمِينِي وَأَخِي
كُلُّنَا فِي الْخَطْبِ مَفْقُورِ الظُّهْرِ
إِنَّمَا شَوْقِي أَبُونَا كُلُّنَا
- أُمَّةُ الْعَرَبِ - بِشَوْقِي تَفْتَخِرُ
سَاقِيَهُ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى السَّنَا
فَانْبَرِي يَنْسَابُ مِنْهُ فِي نَهْرٍ
إِنْ يَكُنْ وَلِي قُلُوبِ أَتَارِهِ
يَهْرُمُ الدَّهْرُ بِهَا وَهِيَ تُضَرُّ
أَوْ يُمَيَّتُ فَالِلَهُ بَاقٍ وَحْدَهُ
مَا مَخْلُوقٌ مِنَ الْمَوْتِ مَقَرُّ
سَوْفَ يَطْوِي الْأَرْضَ يَوْمًا وَالسَّمَاءَ
وَارِثُ الْأَجْيَالِ خَالِقُ الْقَدَرِ
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْحَقُّ قُلُوبُ مَنْ
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ كَفُرْ
مَوْتُ شَوْقِي آيَةٌ دَلَّتْ عَلَى
أَنَّ هَذَا الشُّهُبَ يَوْمًا تَنْكَدِرُ!

صدر: ١٥ / أكتوبر ١٩٣٢ هـ